

## المحاضرة الثانية فى الفلسفة الحديثة لطلاب السنة الثالثة-قسم الفلسفة/الفصل الثانى

### الدكتورة سوسان الياس

#### الحساسية المتعالية:

يعرف كانط الحساسية بالقدرة على تلقي التمثلات الحسية بالطريقة التي بها نتأثر بالموضوعات و يدون هذه القابلية لدينا للتأثر بالموضوعات لا يمكن لنا أن نتلقى انطباعاتنا عن تلك الموضوعات، والحساسية هي التي تزودنا بالحدوس التي بنظر كانط لا يمكن أن تكون إلا حسية – تبعاً لطبيعتنا – بمعنى أن الحدس أمر ممتنع إلا بشرط أن يؤثر الموضوع بطريقة معينة في الذهن.

ولما كان الحدس الحسي للموضوعات الخارجية لا يتم عند الإنسان خارج إطارى الزمان والمكان لذلك فإن دراسة وظيفة الحساسية في عملية المعرفة ترتبط عند كانط بدراسة هذين الإطارين لإدراكنا للموضوعات وبإثبات صفتها القبلية بالنسبة لكل معرفة ممكنة.

يبدأ كانط عرضه عن الزمان والمكان بالتساؤل عما يمكن أن نفضيه في طبيعتهما من إمكانيات، يقول كانط ما المكان والزمان؟ هل هما كائنات واقعيان؟ هل هما مجرد تحديدات أو علاقات بين الموضوعات وهل هي علاقات قائمة بين الموضوعات بمعزل عن حدسها؟ أم هي لا تتعلق إلا بالتكوين الذاتي لفكرنا؟

يعتقد كانط أنه مهما اختلفت إحساساتنا (انطباعاتنا) فلا بد أن تظهر إلينا في المكان من حيث هي متقابلة أو متجاورة جنباً إلى جنب، وفي الزمان من حيث هي متعاقبة أو متآنية. والإحساسات بنظره هي كصفات صرفة- كاللون والطعم والرائحة والصلابة.... – لا تزودنا بالمكان والزمان، فلا بد أن يكونا تابعين للذهن وهما قائمان في كل إدراك أو احساس، فهما لا يؤلفان جزءاً من التجربة ولا أفكار مستمدة

من تلك التجربة، وليس للزمان أو المكان وجود حقيقي في عالم الواقع بل هما الإطاران التي بهما ندرك الأشياء بقدر ما تؤثر في حواسنا.

ما سبق يفيد أن الإمكانية التي يقبلها كانط هي أن الزمان كما المكان – لا يتصف أبداً بالموضوعية أو الواقعية – فهو ليس جوهرأً ولا عرضاً ولا علاقة ولكنه "شرط ذاتي ضروري بمقتضى طبيعة الفكر البشري من أجل التنسيق بين معطيات حسية تبعاً لقانون محدد". إن الزمان كما يصفه كانط شرط ذاتي وليس معطى موضوعياً، إنه الشرط الذي يسمح بأن تنتظم داخل الذات المدركة المعطيات الحسية التي نتلقاها عن طريق الانطباع بالموضوعات الحسية الخارجية، وبما أن الشرط الذاتي والضروري مرتبط بالحساسية فإنه ليس تصوراً، بل هو حدس، ولكن من حيث أنه لا يتضمن أي معطى تجريبي فهو ليس حدساً حسياً بل هو حدس خالص. إنه الصورة التي تنتظم بها المدركات ضمن إحساساتنا وهو حدس غير متعلق بموضوع خارجي بل شرط لإدراك الموضوع الخارجي.

وهذا الذي يؤكد كانط بصدد الزمان يقبله عن المكان كونه شرطاً ذاتياً يوجد لدينا سواء حدسنا الأشياء أم لم نحدسها. وطالما أن الزمان والمكان يتصفان بالذاتية منهما حدسان قبليان يرتبطان بالتركيب العام لطبيعتنا بمقدار ماهي كيفية لتلقي الإحساسات. هذا التصور عن المكان والزمان بوصفهما شرطيين ذاتيين تنتظم داخلهما مادة إحساساتنا، هو الذي يتبناه كانط وتتجه إليه أدلته.

والزمان عنده صورة أولية ترجع إلى الحاسة الداخلية بصورة مباشرة، وإلى الحاسة الظاهرة بصفة غير مباشرة من حيث أن كل حدث نفسي له موضعه في الزمان. والمكان صورة أولية ترجع إلى الحاسة الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمس. ولكانط أدلة على كون الزمان والمكان حدسان وأنهما قبليان.

### الدليل الأول:

يرى كانط أن الزمان والمكان ليسا تصورين مستمدين من تجارب خارجية أو من إحساسات داخلية، لأنه كي ندرك الأشياء متقابلة لبعضها مع الآخر وقائمة في

مواضع مختلفة لآبد من وجود تصور للمكان سابقاً عليها، وحتى أدرك أن الأحداث متمايز بعضها عن بعض تقع متعاقبة أو في نفس الوقت لآبد أن يكون لدينا تمثل (تصور) للزمان سابق عليها. إذن تصوري الزمان والمكان قبلان ليسا مستمدان من التجربة.

### الدليل الثاني:

يمكننا أن نتصور مكاناً بدون أشياء، وزماناً بدون أحداث، غير أنه لا يمكننا أن نتصور أشياء بدون مكان يمكن تعيينها فيه أو أحداث بدون زمان غير مترابطة به أصلاً من حيث السبق أو التآني أو التأخر في الحدوث. ما يعني إثبات الزمان والمكان كشرطين ضروريين قبلين لإمكان حدوث الظواهر.

### الدليل الثالث:

والذي يؤكد فيه كانط على وحدة المكان والزمان من حيث هما حدسان خالصان. فربما يمكن أن نتصور أمكنة عديدة وأزمنة مختلفة ولكن هذه لا يمكن تصورها إلا ضمن مكان واحد وزمان واحد يكمن وراء تلك التصورات المتعددة للأزمنة المختلفة والأماكن المتباينة، إنها متضمنة في تمثلنا وتصورنا لكل من هذين الحدسين الخالصين.

### الدليل الرابع:

هذا الدليل يتعلق بلانهاية المكان والزمان، إذ يرى كانط أنه يمكن تصور المكان لا متناهيًا وهذا وحده ما يسمح لنا بتعيين أجزاء من المكان بكونها متناهية. وكذلك يمكن النظر إلى علاقة الزمان بلحظاته المختلفة، فإن ما يسمح لنا بإدراك اللحظات المختلفة من الزمان بكونها متناهية أو محدودة (مثلاً ماضي-حاضر-مستقبل) هو الحدس الخالص للزمان وفيه يعطى لنا الزمان في صورته المطلقة اللامتناهية، إذ كل ما تقدمه لنا تجاربنا يقتصر على أزمنة وأمكنة متناهية. وهذا دليل آخر على قبلية الزمان والمكان.

## الدليل الخامس:

هدف هذا الدليل هو بيان قيمة الزمان والمكان بالنسبة لقيام المعرفة العلمية، كمعرفة تصدر بصدد موضوعاتها أحكاماً قبلية ودقيقة في آن واحد.

يعتقد كانط أنه لو كان تصور المكان تصوراً مكتسباً بواسطة التجربة، لكانت مبادئ الرياضيات وأحكام الهندسة مجرد ظواهر عرضية وغير ضرورية ولكانت المعرفة بها نسبية، ولكان من غير الضروري أن يكون الخط المستقيم أقصر مسافة بين نقطتين أو من الضروري أن يتألف المكان من ثلاثة أبعاد والقول بوجود تصور للمكان له أكثر من ثلاثة أبعاد وهذا ما لم تثبته أحكام الهندسة.

ومثل هذا يقال عن الزمان بالنسبة لعلم الميكانيكا، فلو أن الزمان حدساً تجريبياً بعيداً لما أمكن لأحكام علم الميكانيك التي تتعلق بعلاقات الأحداث في الزمان، أن تكون أحكام كلية وضرورية. وعندها ستكون نسبية إلى التجارب التي استمدت منها وكل ما نعلمه سيكون مرتبط بقيمته بالإدراكات الحسية التي تتعلق بموضوعه وليس بما يحدث في الظاهرة بالضرورة.

## النتيجة:

إن الدلائل التي قدمها كانط على قبلية الزمان والمكان تظهر أنه لا يمكن تصورهما بغير هذه الكيفية أي بوصفهما شرطان ذاتيان يسمحان لمعطيات الحواس المتباينة أن تنتظم داخل حدس حسي معين، فهما إذن قبليان بالقياس إلى كل تجربة لا مستمدان منها. وهذان الشرطان الذاتيان الضروريان هما اللذان يجعلان الأشياء في ذاتها أشياء بالنسبة لنا أي قابلة لأن تكون موضوعات لمعرفتنا. فهما إذن لا يتعلقان إلا بالأشياء المحسوسة كصورتين لتنسيق معطيات الحواس أي بالأشياء كما تبدو لنا لا الأشياء كما هي ذاتها، وهذا الشيء المحسوس الذي لا يعطانا في ذاته هو ما يدعوه كانط بالظاهرة (الفينومين). أما الشيء في ذاته فيدعوه (بالنومين) وكما يبدو ليس

موضوعاً لمعارفنا. فالظواهرات وحدها حقل مصداقية الزمان والمكان وإذا ما  
خرجنا منه فلن نجد لهما أي استعمال موضوعي.